EDITORIAL

رسوم استقبال الوفود والسفراء في النظم الدبلوماسية للخلافة الأموية في الأندلس 316 –366هـ / 928 –976م

د. حسن بن على بن عون الشريف *

المستخلص

يتناول هذا البحث جانباً مهماً من النظم الدبلوماسية للخلافة الأموية في الأندلس خلال الفترة من 316 – 366 هـ / 928-976م التي تعتبر من ازهى فترات التاريخ الأسلامي الاندلسي، حيث شهدت هذه الفترة من الخلافة الأموية نشاطاً دبلوماسياً استقبلت قرطبة خلالها وفوداً وسفراء من دول اوربيه، ودولة الروم، ومن نصارى الشمال الأسباني، ومن أمراء البربر في بلاد المغرب. وهناك بروتوكولات ونظم ورسوم للخلافة الأموية في الأندلس عند استقبال الوفود والسفراء، كانت على درجة عالية من الدقة والتنظيم والترتيب، وكانت العاصمة قرطبة تزين بأبهى أنواع الزينة والفرش والأثاث، أحتفاء بالوفود الزائرة واكراماً لهم. وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي, وقد توصل الى العديد من النتائج من أهمها أن العلاقات الدبلوماسية للخلافة الأموية الناشئة في الأندلس تنبثق من مبادىء اقرها الإسلام، تدعو الى احترام وتقدير الوفود والسفراء، وتمنحهم الأمان الذي يقابل الحصانة في الدبلوماسية المعاصرة وأنه كان لتلك العلاقات الدبلوماسية المتميزة اثرها الكبير في اقرار السلم، وتسهيل حركة التجارة، والتبادل الثقافي والعلمي بين قرطبة وجارتها من الممالك النصرانية والدول الأوربية، كما ساهمت كثيراً في المحافظة على المذهب السني في بلاد المغرب وانحسار المذهب الشيعي الذي وجد قَبُوْلاً لدى بعض قبائل البربر، كما ساهمت تلك العلاقات الدبلوماسية في التمازج الحضاري بين اسبانيا الأسلامية ونصارى الشمال الإسباني على وجه الخصوص .

*أستاذ مشارك، جامعة أم القرى – مكة المكرمة

EDITORIAL

مقدمة:

تأسست الدولة الأموية في الأندلس في عام 138 هـ / 755م على يد عبد الرحمن إبن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان(1)الذي أفلت من قبضة العباسيين بالشام عند قيام دولتهم في سنة 132هـ /749 م. وقد تمكّن عبد الرحمن من الوصول إلى بلاد المغرب حيث اختفى فترة من الزمن بين أخواله البربر، ومن ثم تمكن من الدخول الى بلاد الأندلس بمعاونة موالى الأمويين وأسس فيها دولة أموية أخرى في مغرب العالم الأسلامي (2). وعرف الأمير عبد الرحمن بن معاويه بالداخل لأنه أول من دخل بلاد الأندلس من بني مروان، وعرف بالأول أيضاً لأنه أول أمير أموى دخل الأندلس يحمل اسم عبد الرحمن. كما لقب بصقر قريش لكونه تغرب وقطع البر والبحر، وأقام وحده ملكاً كان قد أدبر (3).

وقد استمرت هذه الدولة تحكم الأندلس باسم الأمارة الأموية من سنة 138هـ / 755 م حتى سنة 316هـ / 928م، وكانت هذه الإمارة مستقلة عن الخلافة العباسية، واستمرت مائة وثمان وسبعين سنة. ثم حكمت بعد ذلك باسم الخلافة الأموية من سنة 316هـ/928م حتى سنة 366هـ / 976م مدة خمسين سنة أو حتى

نهاية الدولة العامريه سنة 399هـ /1008م ليصبح عمر الخلافة ثلاثة وثمانون سنة(4) . ولقد عاشت الدولة الأموية في الأندلس خلال السنوات الأخيرة ، من عمر الأمارة في بحر من الفتن والأضطرابات والثورات الداخلية ، وانقسمت الدولة إلى أجزاء، وكثرت الثورات في كل ناحية من نواحيها، وكان نصارى الشمال الأسباني بتربصون بها الدوائر، ويشكلون تهديداً مستمراً للدولة . ولم تعد الأمارة قادرة على ضبط مقاليد

(1) هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد لملك بن مروان مولده بالشام سنة 113هـ /731 م أمه بربريه من سبى المغرب تسمى (راحا) مات ابوه وتركه صغير السن. هرب لما ظهرت دولة بنى العباس ولم يزل مستتراً حتى دخل الأندلس في سنة 138هـ. وكانت وفاته سنة 172هـ / 788م وهو ابن تسع وخمسين سنة. ابن الفرضي: أبو الوليد عبد الملك بن محمد بن يوسف الأزدي (ت 403هـ /1013 م) تاريخ علماء الأندلس، دار الكتب الأسلامية،القاهرة، بيروت، الطبعة الأولى 1403هـ /1983م، 6/1. الضبي: أحمد بن يحيي بن عميرة (ت 599هـ /1202م) بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، دار الكتاب العربي – القاهرة 1976 م، ص 12.

(2) ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد المغربي (ت 808هـ /1405 م) العبر وديوان المبتدأ والخبر، منشورات دار الكتاب اللبناني – بيروت، 1958م، 4/154-155، الضبي، مصدر سابق ص 12، على أدهم صقر قريش، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (د.ت)، ص69.

(3) المقري: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت 1041هـ / 1632 م) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق د. إحسان عباس دار صادر – بيروت، 1388. /1968م، 1/329، 332.

(4) عبد الرحمن علي الحجي: التاريخ الأندلسي من الفتح الأسلامي حتى سقوط غرناطة دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية 1407هـ / 1987 م، ص 39، 40.

EDITORIAL

الأمور، حتى لقد كادت أنْ تشرف الدولة على الزوال [5]، ولكنَّ الله هيأ لها الأمير عبد الرحمن بن محمد الملقب بـ" الناصر" [6]، (فترة إمارته من سنة 300 حتى سنة 316هـ) ، الذي تمكَّن من ضبط الأمور، والقضاء على كافـــة الثـوار والمـخالفين وبذل جهداً كبيراً لإعادتهم الى الطاعة، كمـا حـقق انتصارات مذهلة على نصارى الشمال الإسباني، وجعلهم يقدمون على بلاط قـــرطبة [7]

طلباً للصلح والمهادنة[8] ثم أقدم الأمير عبد الرحمن الناصر على خطوة جريئة في سنة 316هـ -928م وهي إعلان الخلافة الأموية في الأندلس[9] وقد أحدث هذا الأعلان زلزالاً قوياً وصدى كبيراً في أنحاء العالم الأسلامي والأوربي على السواء.

وقد أشار المؤرخون إلى جملة من الأسباب التي جعلت الأمير عبد الرحمن الناصر يعلن الخلافة في تلك الظروف، منها: ضعف الخلافة العباسية ببغداد أيام الخليفة المقتدر العباسي [10] الذي أصبح أُلعوبة في

---

(5) انظر ابن حيان: أبو مروان حيان بن خلف بن حسين (ت 469هـ / 1076م) المقتبس من تاريخ رجال الأندلس (القسم الثالث) خاص بعصر الأمير عبد الله، نشرة ملشور م. أنطونية باريس 1937م. ص 9-10، 15، 52، 128. ابن عذاري: أبو العباس أحمد بن عذاري المراكشي (ت 695 هـ /1295 م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج .س كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة – بيروت، ط3، جـ 2، ص 127 وما بعدها. ابن الخطيب: لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني (ت 776هـ / 1374 م) أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الأحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق وتعليق أ. ليفي بروفنسال، دار المكشوف – بيروت، ط 2، 1965 م، ص 27.

(6) هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد (الناصر لدين الله) ولد في الثالث عشر من رمضان سنة 277هـ / 890م، يكني أبا المطرف وأمه أم ولد اسمها مزنة، وهو أول من تسمى بأمرة المؤمنين من الأمويين في الأندلس، تولى الأمارة بعد وفاة جده عبد الله سنة 300هـ وأعلن الخلافة سنة 316 هـ توفي في سنة 350هـ /961م، الضبي، بغية الملتمس، ص 17، خير الدين الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، الطبعة السابعة 1986م، 324/3.

(7) قرطبة: تقع جنوب الأندلس على نهر الوادي الكبير بنيت في عهد الرومان وازدهرت بعد الفتح الأسلامي وبلغت أوج عظمتها في عهد الخلافة الأموية في الأندلس عندما اصبحت عاصمة لها ومركزاً للثقافة، ياقوت: ياقوت بن عبد الله الحموي (ت 626هـ /1228م)، معجم البلدان، دار صادر ودار بيروت – لبنان 1404هـ /1984م، 2 /324-325، محمد شفيق غربال وآخرون: الموسوعة العربية الميسرة، دار نهضة لبنان – بيروت 1407 هـ /1987م، 1376/2.

(8) ابن خلدون: العبر، 1984، الضبي: بغية الملتمس، ص 17، رجب محمد عبد الحليم: العلاقات بين الأندلس الإسلامية وأسبانيا النصرانية في عصر بني أمية، دار الكتب الأسلامية، القاهرة، 1985م، ص 163.

(9) ابن حيان: المقتبس، جـ 5 خاص بعصر الخليفة عبد الرحمن الناصر، نشره ب. شاليمتا وآخرون، ص241.

(10) هو جعفر بن المعتضد بالله، كان مولده في رمضان سنة 282هـ، بويع له بالخلافة في ذي القعدة سنة 295هـ وكان عمره آن ذاك ثلاثة عشر سنة ولقب بالمقتدر بالله وقد كان ضعيفاً واتسم عهده بالفوضي قتل على يد مولاه مؤنس الخادم، وكان ذلك سنة 320هـ ابن الأثير: عز الدين أبي الحسن على بن محمد الجزرى (ت 630هـ) الكامل في التاريخ دار الكتاب العربي – بيروت ط3 1400هـ / 1980 م، 10/6.

EDITORIAL

أيدي الجند الأتراك، وقد ضاعت هيبة الخلافة بقتل مؤنس الخادم المظفر [11] للخليفة المقتدر، ومن هذه الأسباب أيضاً ادعاء العبيديين الخلافة في القيروان[12] أضف الى ذلك تمكن الناصر من بسط نفوذه على الأندلس وإعادة وحدتها السياسية. وكان الناصر يرى أنّ الأمويين أحق بهذا الأمر من غيرهم كما أشار إلى ذلك ابن حيان[13]. كما أنّ ضعف الخلافة العباسية وضياع هيبتها، كان أمراً مشجعاً بالنسبة له. ولعله كان يرى أنّ لقب "إمارة" غير كاف لردع الأندلسيين الذين أرهقوا الدولة بثوراتهم المتكررة، وأنّ لقب "خليفة" سيعطي الدولة هيبتها، ويعطي مؤشرات قوية إلى أعدائه في الداخل والخارج بأنّ هناك دولة قوية في الأندلس، وعلى رأس هذه الدولة خليفة، وأنّ وقع خليفة في النفوس أقوى من وقع أمير.

وفي هذا الإعلان أيضاً رسالة قوية إلى الفاطميين الذين سيطروا على أجزاء من بلاد المغرب ونشروا المذهب الشيعي فيه وقد خاض الناصر معهم حروباً عديدة، وجازت أساطيله إلى بلاد المغرب لمحاربتهم، وقد تمكن من الانتصار عليهم في عدة مواقع، فاضطروا إلى ترك بلاد المغرب، والرحيل إلى مصر التي تمكنوا من الإستيلاء عليها سنة 358هـ/960م، واتخذوها قاعدة لهم[14].

وبهذا يكون عبد الرحمن الناصر أول من لقب بأمير المؤمنين من أمراء بني أميه بالأندلس، يقول المقري: أنه "أول من تسمى بأمير المؤمنين من بني أمية بالأندلس لأنّ الدولة عظمت في ايامه، حين اختل نظام ملك العباسيين في المشرق، وتغلبت عليه الأعاجم"[15].

ويقول ابن خلدون: " وهو أول من سمي بأمير المؤمنين في الأندلس، عندما تلاشى أمر الخلافه بالمشرق، واستبد موالى الترك على بني العباس، وبلغه أنّ المقتدر قتله مؤنس المظفر"[16].

وعلى أية حال فقد حمل الأمير عبد الرحمن بن محمد مسمى خليفة ابتداءً من مستهل ذى الحجة سنة 316هـ /928م، وتلقب بالناصر لدين الله، وأمر رعيته بمخاطبته بذلك في جميع ما يجري منه ذكره، وانفذ

---

(11) مؤنس الخادم الملقب بالمظفر: أحد الخدام الذين بلغوا رتبة الملوك، كان من خدم المعتضد العباسي وبقي ستين سنة أميراً، وولي دمشق للمقتدر، ثم حاربه وقتل المقتدر، وخلفه القاهر، فلما تمكن القاهر منه قتله سنة 321هـ /933م، الزركلى: الأعلام، 335/7.

(12) ابن الأبار: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت 685هـ /1295م) الحلة السيراء (جزءان) تحقيق د. حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة. والنشر، الطبعة الأولى 1963م، 1/ 198، الضبي: بغية الملتمس، ص 17.

(13) المقتبس، ج5، ص241.

(14) محمد عبد العزيز عثمان: البحرية العربية في الأندلس، مجلة المورد، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، المجلد الثاني عشر، العدد الرابع، ص69-70.

(15) أزهار الرياض في أخبار عياض،تحقيق مصطفى السقا وآخرون، ط 1359هـ/1940م 2/ 258.

(16) العبر، 298/4.

EDITORIAL

كتبه بها في أنحاء مملكته، وأصدر منشوراً بذلك، وعهد لصاحب الصلاة بمسجد قرطبة الجامع بإنَّ تكون الدعوة له بأمير المؤمنين[17].

وبذلك تكون الأندلس قد دخلت عهداً جديداً من عهودها، وطوراً آخر من أطوار مسيرتها، وتحولت الأمارة الى الخلافة، واخذت البلاد وجهة جديدة، حيث سمي هذا العهد بعهد الخلافة.

والحق أنه كان للانتصارات العظيمة التي حققها عبد الرحمن الناصر وقعها الكبير وتأثيرها على نفوس كثير من الأمم المجاورة له من النصارى والروم والفرنجة والمجوس، وفي ذلك يقول المقرى: "أنّ ملك الناصر كان في غاية ما يكون من الفخامة ورفعة الشأن، فقد هادته الروم، وازلفت إليه تطلب مهادنته ومتاحفته بعظيم الذخائر، ولم تبق أمة سمعت به من ملوك الروم والفرنجة والمجوس وسائر الأمم الا وجرت اليه أو وفدت خاضعة راغبة، وانصرفت عنه راضية" [18].

وخلاصة القول أصبح عبد الرحمن الناصر سيد شبه الجزيرة الأيبيرية كلها، شمالها وجنوبها، المسلمين منهم والنصارى، وصارت الأندلس في عهده قبلة الانظار، ومحط السفراء من جميع أنحاء العالم. [19]

وسوف يتناول هذا البحث رسوم استقبال الوفود والسفراء في النظم الدبلوماسية للدولة الأموية في الأندلس في عصر الخلافة، وتحديداً في عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر، وابنه الحكم المستنصر [20] وهو العصر الذي ازدهرت فيه الدبلوماسية الأندلسية ازدهاراً كبيراً وظهرت "البروتوكولات" والمراسم والنظم الدبلوماسية، التي تدل على الهيبة والفخامة وأبهة الملك في استقبال السفراء والوفود، وتشير المراسم والنظم الى ما وصلت اليه الأندلس من رقي وتقدم حضاري في عصر الخلافة خلال هذه الفترة، من سنة 316 حتى سنة 366هـ / 928 حتى 976م.

وتجدر الأشارة هنا الى أنّ الدبلوماسية كلمة يونانية الأصل مأخوذة من لفظة دبلو (***Diplo***) ومعناها الوثيقة الرسمية التي كانت تطوى وتثنى، والتي عرفت فيما بعد بالدبلوما (***Diploma***) وكان يبعث بها الحكام بعضهم الى بعض في علاقاتهم الدولية الرسمية[21] ومصطلح الدبلوماسية مصطلح حديث العهد بالعلاقات

---

(17) ابن حيان: المقتبس 241/5.

(18) ازهار الرياض، 2 /258.

(19)رجب محمد عبد الحليم: العلاقات بين الأندلس الاسلامية واسبانيا النصرانية .، ص163.

(20) هو الحكم بن عبد الرحمن، يلقب بالمستنصر ولي الخلافة بعد ابيه سنة 350هـ /961م، يكنى أبا العاص، أمه أم ولد اسمها مرجان، كان حسن السيرة محباً للعلوم، توفي سنة 366هـ / 976م، أنظر الضبي، بغية الملتمس، ص 18 -21، الزركلى، الأعلام، 2 / 267.

(21) أنظر محمد بوبوش: تطور الدبلوماسية عبر العصور، جامعة محمد الخامس الرباط *(www.jeeran.com)* عبد العزيز بن عثمان التويجرى، الدبلوماسية الإسلامية في خدمة الحوار والسلام، منشورات المنظمة الأسلامية للتربية والعلوم والثقافة الرباط *(www.isesco.org)* .

EDITORIAL

الدولية، بيد أنّ جوهر الدبلوماسية من حيث هو التفاوض والتعامل السلمي بين الدول كان معروفاً منذ أقدم العصور، حيث كانت العلاقات المتبادلة معروفة بين الدول، ولكن لم تكن هذه العلاقات منتظمة في بادىء الأمر، بل كانت ترتب في مناسبات معينة بوساطة رسل أو مندوبين خصوصيين[22].

والدبلوماسية من حيث هي علم له قواعده، وفن له أصوله، ومهنة لها تقاليدها لاتختلف من دولة لدولة، ومن مجموعة إقليمية إلى أخرى. وقد تختلف الأهداف والمصالح ويختلف الأسلوب في الأداء والممارسة أحياناً ولكن تبقى الدبلوماسية كما يصطلح عليها الجميع، وهي تعني "مجموعة المفاهيم والقواعد والإجراءات والمراسم والمؤسسات والأعراف الدولية التي تنظم العلاقات بين الدول والمنظمات الدولية والممثلين الدبلوماسيين، بهدف خدمة المصالح العليا الأمنية والاقتصادية والسياسات العامة للدول، والتوفيق بين مصالح الدول بواسطة الأتصال والتبادل وإجراء المفاوضات السياسية وعقد الاتفاقات والمعاهدات الدولية"[23].

وكانت الدبلوماسية الإسلامية في التاريخ الإسلامي تهدف في أول الأمر الى نشر الدعوة الإسلامية، فقد بدأت منذ عصر الرسول صلى الله عليه وسلم عندما بدأ بمراسلة الملوك والزعماء المحيطين بالجزيرة العربية. وكانت تلك المراسلات تهدف

الى الدعوة الى الإسلام. فقد كتب عليه الصلاة والسلام الى النجاشي، والمقوقس، وهرقل، وكسرى، وغيرهم من الملوك يدعوهم إلى الإسلام فقد أرسل النبي ε عمر بن أمية الضمرى إلى النجاشي، ودحية بن خليفة الكلبي إلى هرقل ملك الروم، وعبد الله بن حذافة السهمي الى كسرى بن هرمز، وشجاع بن وهب الى الحارث بن أبي شمر الغساني بدمشق، وسليط بن عمرو العامري إلى هوذة بن علي الحنفي صاحب اليمامة وغيرهم من رسل النبي ε الذين بعث بهم الى سائر الأنحاء داخل الجزيرة العربية وخارجها **(24)**.

فقد بعث برسالة الى النجاشي جاء فيها :" من محمد رسول الله، الى النجاشي عظيم الحبشة. سلام على من اتبع الهدي، أما بعد: فإنى أحمد اليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المهيمن، وأشهد أنّ عيسى بن مريم روح الله وكلمته القاها الى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت عيسى من روحه، ونفخه كما خلق آدم بيده. وإني أدعوك الى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتبعني وتوقن بالذي جاءني، فإنى رسول الله وإني أدعوك وجنودك الى الله عز وجل [25].

---

(22) محمد بوبوش: المرجع السابق .

(23) التويجرى: المرجع السابق.

(24) أنظر ابن سعد :محمد بن سعد (ت 230هـ /844م، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت 1388هـ/1968م، ج1 ص 259 وما بعدها. ابن سلام: أبو عبيد القاسم بن سلام (ت 224هـ /838م، الأموال، تحقيق محمد خليل هراس، دار الفكر، القاهرة سنة 1395هـ / 1975، ص 28 ومابعدها.

(25) محمد حميد الله: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، بيروت – لبنان ط 3، 1969م، ص75.

EDITORIAL

وجاء في كتابه عليه السلام إلى هرقل امبراطور الروم: " بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى. اما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام. أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فعليك إثم الإريسيين [26].

كما كتب الى المقوقس عظيم القبط:

"بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله الى المقوقس عظيم القبط. سلام الله على من اتبع الهدي أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام. اسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فعليك إثم القبط " [27]

.

يتضح من خلال هذه الرسائل أنّ دعوة هؤلاء الملوك الى الاسلام كانت هدفاً أساسياً للنبي صلى الله عليه وسلم، وقد كانت رسائله عليه الصلاة والسلام في غاية التهذيب والاحترام والتقدير لهؤلاء الملوك، يتجلى فيها أدب النبوة، والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، واحتفظ لهؤلاء الملوك بمكانتهم السامية عند شعوبهم (عظيم الحبشة، وعظيم الروم، وعظيم القبط) وقد مثلت هذه الرسائل بأسلوبها الرفيع البدايات الأولى للدبلوماسية الإسلامية.

ومع التطورات الكبرى التي شهدتها الدولة الأسلامية نتيجة للفتوحات الإسلامية، واتساع رقعة الدولة الأسلامية، وانفتاح المسلمين على غيرهم من الشعوب، أخذت الدبلوماسية تنمو وتتطور وتنطلق نحو آفاق رحبة، وخاصة في مغرب العالم الأسلامي.

فكان الملوك والخلفاء والسلاطين في الإسلام يتلقون الرسل والسفراء القادمين اليهم أحسن تلقٍ، ويكرمونهم ويحتفلون بقدومهم ويبالغون في حفاوتهم ويتعهدونهم بالرعاية والأكرام، ويبرزون لهم مظاهر الترف والعظمة والفخامة، وكانوا يرمون من تلك المبالغة في الاحتفالات الى اكرام الرسل لكي يتحدثوا بما رأوا، ويكون لهذا الأكرام أثر في نفوسهم كما كانوا يقصدون من وراء تلك إدخال الرهبة فى نفوس الوافدين

(26) المرجع نفسه ص 81.

(27) محمد حميد الله: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، بيروت – لبنان ط 3، 1968م، ص105-106

عليهم، فيقصون على ملوكهم ما شاهدوه وسمعوه، فتعظم مكانتهم لديهم، ويحذرون بطشهم وسطوتهم وكانوا يكرمونهم بالخلع والأموال والمآدب الفخمة والجوائز والهدايا السنية[28].

وكان من أعظم مميزات الرسل الدبلوماسيين، الحصانة التامة، والأعفاء من الضرائب والمكوس، وحرية العبادة، وعدم التحاكم أمام القضاء الوطني، وكون السفارة أرضاً من أرض الدولة المرسلة وكلمة الأمان في الفقه الأسلامي تقابل كلمة الحصانة في الدبلوماسية الغربية الحديثة، فقد أُعطي الرسول القادم الى دار الأسلام الأمان له ولمن يكون معه طول مكثه في البلاد المرسل اليها حيث يعود سالماً ومطمئناً الى بلاده وأهله [29].

رسوم استقبال الوفود والسفراء في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر (316 -350هـ /928-961م).

ومن تلك المعاني السامية التي اقرها الإسلام انطلقت الدبلوماسية الأسلامية في الأندلس، فقد شهد عصر عبد الرحمن الناصر علاقات دبلوماسية متطورة بينه وبين الممالك النصرانية في شمال اسبانيا، وفي خارج الإطار الأسباني تمثل ذلك في السفارات المتبادلة بينه وبين ألمانيا وبيزنطة "القسطنطينية عاصمة الدولة الرومانية الشرقية" وكذلك تبودلت السفارات بينه وبين أمراء المناطق الأسلامية في المغرب [30].

كانت الأندلس بما اجتمع لها في عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر من أسباب القوة والسلطان، قد تبوأت الصدارة بين الدول الأسلامية، وكانت الدولة العباسية يومئذ قد أصابها الضعف والتفكك، ولم تكن الدولة الفاطمية منافستها في المشرق قد بلغت يومئذ ذروة قوتها ونفوذها، فكانت الأندلس تستأثر بزعامة الإسلام وكانت قرطبة مركز الجاذبية الدبلوماسية في العالم الإسلامي، تتجه إليها أبصار الدول النصرانية في طلب المودة،وعقد العلاقات الدبلوماسية. بينما كانت القسطنطينية مركز الجاذبية الدبلوماسية بين الأمم النصرانية حتي القرن الثامن الميلادي / الثاني الهجرى. ثم نافستها في ذلك مملكة الفرنجة القوية مدى حين، فلما اضمحل شأن المملكة الفرنجية، استردت القسطنطينية زعامتها الدبلوماسية في النصرانية .ولما قامت الامبراطورية الجرمانية في القرن العاشر الميلادي /الرابع الهجري استطاعت أن تبسط زعامتها السياسية على أوروبا،

(28) صلاح الدين المنجد: النظم الدبلوماسية في الأسلام، دار الكتاب الجديد، بيروت- لبنان،الطبعة الأولى 1403هـ /1983 م، ص 38، 70،71.

(29) المرجع نفسه ص 80.

(30) ليفي بروفنسال: الحضارة العربية في اسبانيا، ترجمة د. الطاهر مكي، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية 1405هـ / 1985م، ص 104.

EDITORIAL

وهكذا كانت زعامة النصرانية تتردد في هذه الحقبة بين شرقي أوروبا وغربيها، بينما لبثت قرطبة تستأثر وحدها بزعامة الإسلام في الغرب حتي نهاية القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي [31].

وقد كان هذا العصر الذي اجتمعت فيه الزعامات الدينية والسياسية القوية، أحفل العصور بتنامي العلاقات الدبلوماسية بين بلاط قرطبة والأمم النصرانية فقد كانت ثمة معاهدات وسفارات ومراسلات وعلاقات دبلوماسية وقد بلغت هذه العلاقات ذورتها في عصر الناصر لدين الله[32].

وكان بلاط القسطنطينية بالرغم من نأيه عن مقر الخلافة الأندلسية، وعدم اتصاله بها بأية حدود أو صلات جغرافية مشتركة، في مقدمة الساعين الى توثيق الروابط الودية مع بلاط قرطبة، ففي سنة 334هـ / 945م، وفد على بلاط الخلافة في الأندلس رسل دولة الروم، فكانت أول سفارة بعث بها صاحب القسطنطينية الأمبراطور قسطنطين بن ليون (905-959م/292-348) الى الخليفة الناصر، وكان الوفد محملاً بجملة من الهدايا النفيسة مع رسالة الأمبراطور الى الخليفة [33]. وقد استكملت الأستعدادات الرسمية لأستقبال الوفد، وأمر الناصر أن يتلقوا أعظم تلق وأفخمه، وأوفد رسله للقاء السفراء البيزنطيين حين وصولهم الى الشاطىء الأندلسي لاستقبالهم وتأمين طريق وصولهم الى قرطبة وخدمتهم في الطريق، فقام الوفد بتلقيهم وإيصالهم إلى قرطبة،واستقبلوا أحسن استقبال وأفخمه من قبل القواد في العدد والعدة والتعبئة، وانزلوا في دار ولى عهده الحكم، ومنعوا من مداخلة الخاصة والعامة، ومداخلة الناس جملة، ورتب لهم عدداً من الموالى والحشم لخدمتهم[34].

كانت مراسم استقبال الوفد البيزنطي تلقي ضوءاً على نظم الرسوم الدبلوماسية المتبعة في الأندلس في ذلك الوقت، وكانت لا تقل بأي حال من الأحوال عن الرسوم والنظم الدبلوماسية المتبعة في هذا العصر، فقد تم تأمين الوفد تأميناً كاملاً منذ وصولهم، ومنعوا من مداخلة العامة والخاصة خشية أن تتسرب اليهم بعض المعلومات التي لا تريد دولة الخلافة في الأندلس أن تصل إليهم .

وفي اليوم الحادي عشر من شهر ربيع الأول من السنة المذكورة خرج الناصر من قصر الزهراء[35] الى قصر قرطبة لاستقبالهم. ثم اذن لهم بعد ذلك بمقابلة الخليفة، الذي قعد لهم في بهو المجلس الزاهر بقرطبة

---

(31) محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس (الخلافة الأموية والدولة العامرية) العصر الأول – القسم الثاني، مكتبة الخانجي – القاهرة، ط 4، 1389 هـ /1969 م، ص 451.

(32) محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص 452.

(33) ابن عذارى: البيان المغرب، 213/2، ابن خلدون: العبر، 309/4.

(34)المقرى، أزهار الرياض، 1/ 258.

(35)الزهراء: مدينة صغيرة قرب قرطبة بناها الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر سنة 325هـ وعملها متنزهاً وانفق في عمارتها أموال كثيرة: ياقوت معجم البلدان، 3 /161.

EDITORIAL

قعوداً فخماً، فجلس عن يمينه ولى عهده الحكم، وبعض ولده، وعن يساره باقي أبنائه، وحضر الوزراء على مراتبهم يميناً وشمالاً، ووقف الحجاب من أهل الخدمة من أبناء الموالى والوزراء والوكلاء وغيرهم، وبسط صحن الدار بأنفس البسط وظللت الأبواب وحناياها بأرفع الستور، فلما وصل رسل ملك الروم الى الناصر انبهروا انبهاراً عظيماً لما رأوه من هول المجلس وفخامته، والترتيب الذي أعد لأستقبالهم، وقدموا الرسالة التي جاءوا بها إلى الناصر من ملكهم، وفيها وصف هديتهم التي أرسلوا بها وعدد أصنافها، فاستلمت منهم الرسالة[36] وهذا الإجراء أشبه بمراسم الإعتماد التي تجرى للسفراء عند قدومهم لتولى مهامهم في العصر الحديث في الدول التي أرسلوا إليها من قبل حكوماتهم.

واستكمالاً لمراسم الأستقبال فقد أعد الناصر الخطباء للحديث بين يدي الرسل، وكلف الناصر أباعلى القالي[37] صاحب كتاب الأمالى، الذي وفد عليه من المشرق لإلقاء خطبة في هذا المشهد، ولكنه عندما بدأ في الحديث أخذه هول المكان، ولم يستطع أن يواصل الحديث،فقام منذر بن سعيد [38] وألقى خطبة عظيمة أذهلت الحاضرين، وهي خطبة مطولة، ولكن أهم ما جاء فيها الوصف الذي يتعلق بخلافة الناصر إذ قال: " وإني أذكركم بأيام الله عندكم وتلافيه لكم بخلافة أمير المؤمنين التي لمت شعثكم، وأمنت سربكم، ورفعت فرقكم بعد أن كنتم قليلاً فكثركم، ومستضعفين فقواكم، ومستذلين فنصركم، ولاه الله رعايتكم، وأسند اليه إمامتكم، أيام ضربت الفتنة سرادقها على الآفاق، وأحاطت بكم شعل النفاق حتى صرتم في مثل حدقة البعير، من ضيق الحال ونكد العيش والتغيير، فاستبدلهم بخلافته من الشدة بالرخاء، وانتقلتم بيمن سياسته الى تمهيد كنف العافية بعد استطيان البلاء، أنشدكم الله معاشر الملأ ألم تكن الدماء مسفوكة فحقنها، والسبل مخوفة فأمنها، والأموال منتبهة فأحرزها وحصنها ؟ ألم تكن البلاد خراباً فعمرها، وثغور المسلمين مهتضمة فحماها ونصرها، فاذكروا آلاء الله عليكم بخلافته ". [39]

قدّم منذر بن سعيد تقريراً مفصلاً وشاملاً عن عظمة خلافة الناصر، وهذا ما كان يرمي اليه الخليفة عبد الرحمن ويريد ايصاله الى أسماع رسل الروم، فقد ذكر منذر الحالة التي كانت عليها بلاد الأندلس قبل

---

(36) المقرى، أزهار الرياض 258/1، 259

(37) أبو علي القالي: اسماعيل بن القاسم، أحفظ أهل زمانه في اللغة والشعر والأدب، توفي في قرطبة سنة 356هـ / 997م الزركلى: الأعلام، 321/1 -322.

(38) منذر بن سعيد البلوطي: قاضي الجماعة بقرطبة، ولد سنة 265 هـ، برع في علوم القران والسنة كان فصيحاً وخطيباً مفوهاً بليغ اللسان. ولاه الناصر الصلاة والخطابة في المسجد الجامع بالزهراء، توفي سنة 355هـ ,المقرى: نفح الطيب 372/1 – 373.

(39) المقري: نفح الطيب، 369/1.

EDITORIAL

مجيء عبد الرحمن الناصر، وكيف تبدلت الحال بعد مجيئه إلى سدة الحكم إذ أصبحت البلاد آمنة مطمئنة مستقرة رغدة العيش، فهذه الخلافة جديرة بالإحترام والتقدير من قبل الرعية.

وقد أعاد الناصر الجلوس لمقابلة رسل الروم بالزهراء عدة مرات، وأمر بإدخالهم دور الصناعات والعدة[40] والسكة[41] وأن يطاف بهم على أرجائها، ومكث الوفد في قرطبة فترة من الزمن في كرم وإحسان ثم كوفئوا على الهدية التي جاءوا بها، وأذن لهم بالرحيل الى ديارهم وهم يتعجبون مما رأوا من عز الأسلام[42].

ولما انصرف رسل قسطنطين، بعث الناصر معهم سفيراً هو هشام بن هذيل، بهدية حافلة، ليؤكد المودة ويوثق عرى التحالف بين قرطبة والقسطنطينة، فعاد بعد سنتين وقد أدى سفارته خير أداء، وعادت معه رسل قسطنطين[43].

لقد أراد الناصر بتلك الترتيبات الفخمة التي أعدها لاستقبال رسل صاحب القسطنطينية،أن يرسل اليه رسالة عبر سفرائه الذين قدموا الى الأندلس، بأنّ الدولة الأسلامية في الأندلس دولة قوية موطدة الأركان، تمتلك جيشاً قوياً مجهزاً بالعدة والعتاد، كما أنّ الدولة تمتلك مؤسسات اقتصادية وصناعية ضخمة، وقد كرر الناصر الجلوس للوفد عدة مرات كل ذلك بقصد ادخال الهيبة في نفوس هؤلاء الرسل، وأنهم بلا شك سينقلون مظاهر هذا الاحتفال الى ملكهم.

تلك كانت أولى السفارات التي استقبلتها قرطبة في عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر من قبل صاحب القسطنطينة، وقد كانت الترتيبات في غاية من الدقة والتنظيم ,ويبدو أنّ عظمة ملك الناصر الذي تسامع به جميع ملوك أوربا جعل صاحب القسطنطينية يرسل هذه السفارة التجسسية للتعرف على أحوال الأندلس عن قرب، خاصة إذا علمنا أنّ التجسس كان من العادات القديمة في الدبلوماسية الأوربية في ذلك الوقت، بل كان من أهم أغراض الدبلوماسية، وهذا ما أشار إليه صاحب " سياست نامة" من أن غاية السفارة ليست في الحقيقة تسليم رسالة بل جمع معلومات واستخبارات كثيرة عن أحوال البلاد التي وفد اليها الرسل حيث يقول: "يجب أن يعلم أنّ الملوك بإرسالهم السفراء لا يقصدون تسليم رسالة أو نقل سفارة فقط، بل هناك مئات الأغراض يبغونها فهم في الحقيقة يريدون أن يعلموا حالة الطرق والآبار، ويعلمون اذا كانت الطرق معبدة تستطيع الجيوش أن تمر بها والأمكنة التي توجد بها المروج والأعشاب والحشائش للعلف، وأن يعلموا قوة الجيش ومؤونته، في العدد

---

(40) العدة: يقصد بها هنا دار صناعة السلاح. المنجد في اللغة، دار المشرق، بيروت – لبنان، الطبعة 28، سنة 1986م، ص 491.

(41) السكة: يقصد بها هنا دار ضرب النقود.الفيروز آبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب(ت 817هـ / 1414م)، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية 1407هـ /1987 م، ص 1217.

(42) المقرى: أزهار الرياض 1 /259.

(43) محمد عبد الله عنان: دولة الاسلام في الاندلس، 456/2 .

EDITORIAL

والعدة، وفي الدفاع والهجوم"[44] ."وأن يعرفوا كيف يعيش الأمير، وماذا يأكل وبمن يجتمع،وأن يدركوا تنظيمات بلاطه، وعادته فيها وملاهيه..ويجتهدون لمعرفة عاداته وأخلاقه في عدله وظلمه ولهوه،وتبذله،وكرمه، ورقته، وهل هو متعلم أم جاهل .. حتى اذا رغبوا في مهاجمته يوماً أو أرادوا نقض خططه، أو نقد عيوبه كانوا مطلعين مدركين يضعون المحاسن والمساوىء نصب أعينهم وينهجون بحسبها[45].

ولذلك فإنّ سفارة رسل صاحب القسطنطينية إلى بلاد الأندلس، يمكن أن تفسر وفقاً لما ذكره صاحب "سياسات نامة" عن أغراض السفارات وغاياتها لدى الملوك والحكام، والسلاطين في التجسس والتعرف على مكامن القوة والضعف لدى الخليفة عبد الرحمن الذي طبقت شهرته أنحاء أوروبا والعالم الإسلامي فكان لابد من التعرف على هذه الشخصية عن قرب، ولا يتم ذلك إلا بمثل هذه السفارات.

ويرى عنان أنّ الغرض من هذه السفارة لم يكن إلا لتجديد علاقات الدولة البيزنطية مع دولة الإسلام في الأندلس، وتوطيداً للصداقة القديمة التي رأى بلاط القسطنطينية أن يعقدها مع بلاط قرطبة منذ عهد الأمارة. وربما كانت ترمى في الوقت نفسه إلى تنظيم الخطط المشتركة بين الدولتين لمقاومة الدولة الفاطمية في بلاد المغرب التي بدأت تزعج البيزنطيين في أواسط البحر المتوسط، وتزعج حكومة قرطبة بتوغلها في المغرب الأقصى[46].

وقد توالت سفارات ملوك النصرانية بعد هذه السفارة على الناصر فوفدت عليه رسل ملك الصقالبة [47] وهو يومئذ الملك بيتر أو بطرس، فاحتفل بقدومهم كذلك، وبعث معهم ربيعاً الأسقف سفيراً الى ملكهم، ثم وفدت رسل ملك فرنسا وهو يومئذ لويس الرابع (921-954م) في طلب الصداقة والمودة، فأجابهم جميعاً إلى ما طلبوا[48].

وكان من أهم السفارات التي وفدت على الناصر في قرطبة سفارة أوتو الأكبر أمبراطور ألمانيا (912-973م) وقد كان أوتو يومئذ زعيم النصرانية كما كان عبد الرحمن الناصر زعيم الاسلام في الساحة الأوربية ,ففي عام 344هـ /956م وفد على قرطبة سفير، وهو حبر (أي عالم صالح) يدعي يوحنا الجورزيني، وكان يوحنا من أكابر العلماء وأقطاب البحث والمناظرة ويبدو أن هناك مراسلات كلامية وقعت بين الناصر

(44)سياست نامه (الترجمة الفرنسية) ص 138-139، نقلاً عن صلاح الدين المنجد: النظم الدبلوماسية في الإسلام ص103-104.

(45) المرجع نفسه، ص 104.

(46) دولة الإسلام في الأندلس: 456/2.

(47) الصقالبة: شعوب تسكن أوربا الشرقية والوسطي والمقصودون هنا سكان وسط أوربا منهم .أنظر الموسوعه العربية الميسرة 1126/2.

(48) عنان: دولة الإسلام في الأندلس، 456/2.

EDITORIAL

وأوتو حول الإسلام والنصرانية فبعث أوتو سفيره العلامة للدفاع عن النصرانية لدى خليفة قرطبة [49]. غير أنّ هذه المهمة الجدلية لم تكن إلا مهمة ثانوية إلى جانب موضوع سفارته الأصلية التي تختص بطلب أوتو الأكبر من الخليفة الناصر التوسط لكبح جماح الأندلسيين المسلمين في جبل القلال (فراكسنيتوم) جنوبي فرنسا (على جبال المورو). وكان بعض البحارة الأندلسيين قد استقروا في منطقة البروفانس (جنوبي شرقي فرنسا) منذ عام 277هـ / 890 م وأستقروا كذلك في شمال مرسيليا[5] في أحد المواقع الجبلية المنيعة ونظراً لنجاحهم فقد توافد إليهم المؤيدون من الأندلس وشمال أفريقيا وعرفت قاعدتهم في المصادر اللاتينية باسم فراكسنيتوم بينما عرفت في المصادر الإسلامية باسم جبل القلال. وقد استمرت هذه الدويلة حتي سنة 365هـ / 975م. وقد شملت سلطة هذه الدويلة مناطق في شمالى ايطاليا وسويسرا وجنوبي فرنسا [50].

وقد بث هؤلاء المغامرون الأندلسيون الرعب والروع في كثير من المدن والجماعات النصرانية في فرنسا وإيطاليا وسويسرا. وكان لاستقرار هؤلاء الأندلسيين في جنوب أوربا وقع عميق في نفوس الحكومات الأوروبية وكان صريخ البابوية [51] يتردد لدى أمراء أوربا بالسعي إلى مكافحة هذا الخطر الداهم، وكان أوتو الأكبر أمبراطور ألمانيا من أشد هؤلاء الأمراء اهتماماً بالقضاء على هؤلاء الأندلسيين، ولذلك رأى أن يوفد بسفيره يوحنا الجورزيني لبحث الأمر مع الخليفة الناصر ليحد من طموح المغامرين الأندلسيين، والتمس العون من الناصر في ذلك.

ولكن هذا المسعى لم يسفر عن أية نتائج عملية، إذ اعتذر الخليفة بأنّ حكومة قرطبة ليس لها يد في الأمر، وأنها غير مسؤولة عن ذلك وأن هذه المستعمرات الاسلامية لا تخضع له ولا تأتمر بأمره [52]، فعادت السفارة دون تحقيق هدفها [53].

وبذلك يتضح أنّ الخليفة عبد الرحمن الناصر كان السيد الفعلى للمجتمع الأسباني كله مسلميه، ومسيحيه، فالبلاد الخارجة عن طاعته أخضعها، والممالك المسيحية حالف بعضها وكسب صداقتهم، وأجبر الباقين على

---

(49) عنان: دولة الأسلام في الأندلس 456/2.

(5) مرسيليا: من أعمال تدمير بالأندلس، اختطها عبدالرحمن بن الحكم بن هشام وهي مرفأ ميناء على البحر تقع في جنوب فرنسا، ياقوت، معجم البلدان، 5 / 107.

(50)الحجي: التاريخ الأندلسي، ص 313.

(51) البابوية: وظيفة بابا روما وهو الحبر الأعظم والرئيس الأعلى للكنيسة الكاثوليكية، وظيفة شرف. الموسوعة العربية الميسرة، 296/1-297.

(52) عنان: دولة الأسلام في الأندلس 472/2

(53) الحجي، التاريخ الأندلسي، ص 313

EDITORIAL

احترامه، وجعلهم لا يلجأون إليه كعدو، بل كصديق [54] وتخطى صيته شبه الجزيرة الإيبيرية إلى خارجها، وتوافد الناس من كل أنحاء أوروبا على قرطبة التي أصبحت ليست عاصمة للإسلام في الغرب الإسلامي كله فقط، بل عاصمة للتمدن والحضارة في أوروبا كلها[55].

لقد رحبت الأندلس بالسفراء القادمين إليها أجمل ترحيب واستجابت للكثير من مطالبهم وتم استقبالهم في قرطبة في قصر الخلافة أو في الجناح المخصص لذلك من مدينة الزهراء والجناح الذي يستقر فيه الوفد القادم هو " دار الملك " في مدينة الزهراء والبهو الذي يستقبل فيه الخليفة القادمين هو "المجلس المؤنس" الجميل الذي يطل على حديقة غناء، في حين خصص "مجلس الزهراء" بهواً لهذه الاحتفالات في قصر قرطبة الخليفي، على ضفة نهر الوادي الكبير وقرب قنطرته، غير بعيد من المسجد الجامع [56] .

لم تقتصر السفارات القادمة على الناصر على الدول الأوربية فقط، أو نصارى الشمال الأسباني، بل وفدت عليه سفارات عديدة من بعض الأمراء والزعماء المغاربة. ومن هذه السفارات المغربية التي وفدت على بلاط قرطبة، وصول أيوب بن أبي يزيد مخلد بن كيداد اليفرني[57] الإباضي[58]، إذا جاء إلى الناصر رسولاً من والده أبي يزيد في سنة 335هـ /946م فجلس الناصر لاستقباله وأوصله إلى نفسه وأكرم لقاءه، وأنزله بقصر الرصافة وقد أعد له فيه من الفرش والوطاء والغطاء والآنية والآلة ما يعد لأمثاله، فأقام بينه عزيزاً مكرماً إلى أن عاد إلى بلاده [59].

---

(54) فقد قدم من ملوك اسبانيا الشمالية الملكة طوطة مع حفيدها شانجة الى قرطبة عام 347هـ /959م ومعها ابنها غرسيه بن شانجة الأول ملك نبره، تطلب المساعدة من الخليفة الناصر في معاونتها لإعادة حفيدها إلى عرش ليون ولمعالجته من السمنة المفرطة على يد أطباء قرطبة الماهرين، وذلك نظير التخلى عن عشرة حصون. فوافق الناصر وأرسل قوة اسلامية أعادت شانجة الى عرش مملكته وهرب أردون الرابع الى اشتريس، وقامت نبره بمهاجمة قشتاله واسرت حاكمها الكونت فرنانجونثالث صهر اردون أنظر ابن عذاري البيان المغرب، 180/4، رجب عبد الحليم: العلاقات بين الاندلس الاسلامية واسبانيا النصرانية، ص/227

(55) رجب عبد الحليم: المرجع نفسه ص 227

(56)أنظر المقرى : نفح الطيب، 577/1،367-578 الحجي التاريخ الأندلسي ص 319.

(57) هو: أيوب بن أبي يزيد مخلد بن كيداد بن سعد الله الزناتي الذكاري. كان والده مخلد من زعماء الأباضية وأئمتهم بربري الأصل، خرج بناحية جبل " أوراس " سنة 322هـ وتلقب بشيخ المؤمنين وامتلك " رقادة" وخضعت له القيروان سنة 333هـ. توفي سنة 336هـ/947م. انظر الزركلي: الأعلام، 194/7.

(58) الإباضي: نسبة إلى الإباضية، وهي فرقة معتدلة من فرق الخوارج، مؤسسها الأول عبد الله بن إباض المقاعسي المري يرجع نسبه إلى إباض قرية بالعرض من اليمامة. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، مطبعة السفير، الرياض، الطبعة الثانية 1409هـ /1989م، ص15.

(59) ابن عذاري: البيان المغرب، 232/2، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، 359/6.

EDITORIAL

وفي سنة 337-948م، وفي النصف من المحرم استقبل الناصر بعض الوفود المغربية، فجلس بقصر الزهراء جلوساً فخماً لاستقباله حميد بن يصل، ومنصور وأبي العيش ابنى ابن أبي العافية[60] فوصلهم وكساهم، ومن ثم أذن لهم في الانصراف إلى بلادهم[61].

لقد جاءت هذه الرسل من بعض الزعماء المغاربة إلى الأندلس لتؤكد العلاقات الودية التي أقامها الناصر مع هؤلاء الأمراء بالمغرب، وكان الناصر قد تألفهم بالهدايا والصلات السنية لكسبهم إلى جانبه، وكانت هذه الرسل تأتي لتؤكد له طاعتها والتزامها وانقيادها للدولة الأموية، على الرغم من اعتناق بعضهم للمذهب الأباضي الخارجي. ولكن يبدو أن الناصر كان يرى أن المصلحة تقتضي التحالف معهم، حتى يتم القضاء على المذهب الشيعي العبيدي، الذي انتشر في بعض أنحاء المغرب. وقد سبقت الإشارة في مقدمة البحث إلى أن من الأسباب التي أدت بالناصر إلى إعلان الخلافة هو إعلان الفاطميين خلافتهم بالقيروان، وقد رأى الناصر إقامة علاقات ودية مع هؤلاء الزعماء المغاربة، كسباً لهم إلى جانبه، وإبعاداً لهم عن التحالف مع العبيديين.

هذه السفارات بشقيها الأوربي والمغربي، تدل على مدى المنعة والقوة التي وصلت إليها الدولة الأموية في عهد الناصر، وقد جاءت هذه الوفود جميعها تعلن احترامها، وتقديرها للخلافة وتريد إقامة علاقات ودية مع الناصر الذي أحسن استقبالهم وإكرامهم، وقدم صورة حية للدبلوماسية الإسلامية الأندلسية.

رسوم استقبال الوفود والسفراء في عهد الخليفة الحكم المستنصر

(350-366هـ/961-976م)

توفي الناصر لدين الله في سنة 350هـ/961م[62] وخلفه من بعده ابنه الحكم المستنصر، الذي سار على ذات النهج الذي كان عليه والده في استقبال الوفود والسفراء، وكان يصحب ذلك الاستقبال شيء من الفخامة والعظمة لإظهار هيبة الخلافة وقوتها وتماسكها. ففي سنة 351هـ/962م جاء إلى باب الحكم

(60) هو: موسى بن أبي العافية بن أبي بسال بن أبي الضحاك المكناسي مؤسس الأمارة المكناسية، وتسمى أمارة آل أبي عافية، وضم إليه ضواحي المغرب سنة 305هـ، ثم مدينة فاس سنة 313هـ، وقاتل الأدارسة وأجلاهم عن بلادهم وصار في ملكه سنة 317هـ من أحواز تهرت إلى السوس الأقصى، وملك تلمسان سنة 319هـ، وانضم في ملكه المغربان الأقصى والأوسط، وأقام العدوة الغربية، نقض بيعة المهدي الفاطمي في هذه السنة وخطب لعبد الرحمن الناصر الأموي، قتل سنة 341هـ/952م، الزركلي: الأعلام، 7/323-324.

(61) المقري: أزهار الرياض، 2/282.

(62) المقري: نفح الطيب، 1/389.

EDITORIAL

المستنصر الطاغية أردون بن أدفنوش، المتملك على طوائف من أمم الجلالقة[63] من غير أمان يعقد له، أو ذمة تعصمه، واحتال في الوصول إلى المستنصر بالله والارتماء عليه، وذلك عندما بلغه عزم الحكم المستنصر على غزوه في هذه السنة، فأقبل في عشرين رجلاً من وجوه رجاله، فأمر الحكم باستقبالهم أحسن استقبال، وأمر بإنزالهم في دار الناعورة[64]، وكان قد تقدم في فرشها بأنواع الغطاء والوطاء، وأكرم وفادتهم أيما إكرام[65].

وبعد يومين من أقامتهم، طلب الحكم استدعاء أردون ومن معه لمقابلته، بعد إقامة الترتيبات اللازمة وتعبئة الجيوش والاحتفال في ذلك اليوم من العدد والأسلحة والزينة، وجلس لهم المستنصر بالله على سرير الملك في المجلس، الشرقي من مجالس السطح، وقعد الأخوة وبنوهم والوزراء ونظراؤهم صفاً في المجلس فيهم القاضي منذر بن سعيد، والحكام والفقهاء، ثم أتي بأردون وأصحابه يحفهم جماعة من نصارى وجوه الذمة بالأندلس يؤنسونه ويبصرونه، وفيهم وليد بن خيرزان قاضي النصارى بقرطبة وعبيد الله بن قاسم مطران طليطلة[66] وغيرهم، فدخل بين صفي الترتيب يقلب الطرف في نظم الصفوف، ويجيل الفكر في كثرتها وتظاهر أسلحتها ورائق حليتها، فهالهم ما رأوه فنكسوا رؤوسهم غاضين أجفانهم حتى وصلوا إلى باب الأقباء أول باب قصر الزهراء. ثم دخل أردون ومن معه إلى قصر الزهراء، وأذن له بمقابلة الخليفة فانبهر أردون عندما رأى الخليفة وارتاع لهول ما رأى ولكن الخليفة الحكم طمأنه وهدأ من روعه فلجأ إلى تقبيل يد الخليفة عدة مرات[67] .

وقد هدف أردون من زيارته للحكم المستنصر أن يقدم له شكوى ضد ابن عمه شانجه المنازع له في الملك، الذي خلعه وتولى مكانه، فطلب من الخليفة إقراره على أهل ملته ومعاونته على أمر ابن عمه شانجه، فطمأنه الخليفة بأنه سيعقد له كتاباً يكون بيده، يقرر به حد ما بينه وبين ابن عمه، وأنه سيرغمه على ترك كل البلاد التي يسيطر عليها لتكون بيده[68].

---

(63) الجلالقة: أقوام من الفرنجة يسكنون مدينة جليقية وينسبون إليها. تقع على البحر المحيط من ناحية شمالي الأندلس في أقصاه من ناحية الغرب. انظر ياقوت: معجم البلدان، 157/2.

(64) الناعورة الدولاب ودلو يسقى بها. الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ص624. ودار الناعورة إحدى دور قرطبة الحكومية المعدة لاستقبال ألوفود.

(65) المقري: نفح الطيب، 389/1.

(66) طليطلة: مدينة كبيرة بالأندلس، في وسط أسبانيا، بإقليم قشتاله الجديد، يرجع تاريخها إلى ما قبل الرومان وكانت عاصمة مملكة القوط الغربيين، ازدهرت في فترة حكم المسلمين زمن ملوك قشتالة. انظر: ياقوت: معجم البلدان، 40/4، الموسوعة العربية الميسرة، 1163/2.

(67) المقري: نفح الطيب، 391/1.

(68) المقري: نفح الطيب، 392/15.

EDITORIAL

لقد بلغ من عز الإسلام في عصر الخلافة بالأندلس، أن جاء ملوك النصارى بأنفسهم إلى باب الخليفة، بقرطبة يقدمون له الالتزام بالطاعة والولاء، ويريدون حل نزاعاتهم الداخلية الخاصة بهم لديه ، ويطلبون منه إقرارهم على أهل ملتهم وهذا يعني أن السيادة في أراضي أسبانيا كلها كانت للخلافة، بعد أن كان النصارى يشكلون تهديداً خطيراً للدولة. وقد وعد الخليفة بحل هذا النزاع بأنه سيعقد كتاباً يحدد فيه الحدود الفاصلة بين المتنازعين. وقد بلغت دولة الإسلام في الأندلس قدراً كبيراً من القوة والفخامة والتنظيم لدرجة أن أردون عندما رأى كل هذه الترتيبات التي أعدت لاستقبالهم أنبهر من هول ما رآه، ويبدو أن هذا الترتيب والتنظيم شيء غير مألوف لديه، على الرغم من تملكه على طائفة من قومه من أهل جليقية، مما جعله يصاب بالذهول والدهشة.

أما من جانب الخلافة، فقد رتب الخليفة بعض الأشخاص المسلمين الماهرين بالخدمة، المعروفين بصدق اللهجة للسفارة بينه وبين ملوك جليقية، ولقاء قواميسها[69]، والتردد إليهم في كل وقت، لتعرف أخبارهم، والتجسس لأنبائهم، وحمل الكتب إليهم في كل وقت، وصرفها عنهم، فيصح الصحيح وتحسن الفائدة [70].

لم تنقطع السفارات القادمة من الممالك النصرانية الأسبانية على بلاط قرطبة، ففي شعبان سنة 360هـ /970م، استقبل الحكم رسل صاحب برشلونه[71] الذين جاؤه وتقربوا بإهدائهم له ثلاثين أسيراً من أسرى المسلمين، فأمر الحكم بإنزالهم بمنية نصر بشط النهر، وأكرم مثواهم، فلما كان يوم السبت لأربع خلون من شهر رمضان قعد لهم الخليفة الحكم على السرير في محراب المجلس الشرقي المنيف على الرياض قعوداً فخماً، وجلس الوزراء على مراتبهم، وحجبه منهم عن ذات اليمين الوزير القائد غالب بن عبد الرحمن، وتحته الوزير صاحب الحشم قاسم بن محمد بن طملس، ومن ذات اليسار الوزير صاحب المدينة بقرطبة جعفر بن عثمان، وتحته صاحب المدينة بالزهراء محمد بن أفلح. وتقدم الوفد إلى الخليفة وقدموا بين أيديهم هدية مرسلهم، وكانت ثلاثين أسيراً. وقبلوا يد الخليفة الذي سألهم عن أحوالهم وأحوال بلدهم، وأنفض المجلس بعد

(69) القوامس: جمع قومس وهو الأمير والرجل الشريف، والقمامسة البطارقة والدواهي، الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص732.

(70) ابن حيان: المقتبس، تحقيق، عبد الرحمن الحجي، دار الثقافة، بيروت – لبنان، 1983م، ص76.

(71) هي مدينة وعاصمة المقاطعة المسماة برشلونة، شمال شرقي أسبانيا على البحر المتوسط، ازدهرت في عهد الرومان والقوط الغربيين، وفتحها المسلمون ثم استولى عليها شرلمان سنة 801م، الموسوعة العربية الميسرة، 349/1.

EDITORIAL

أن كافأ الخليفة الرسل على هديتهم، كما كافأ الأسرى بالصلات حتى يتمكنوا من الوصول إلى ذويهم [72]، وجرى استقبال آخر لوفد صاحب برشلونه بعد عامين من هذا التاريخ [73].

وفي شوال من عام 360هـ /970م جلس الخليفة الحكم على سرير الخلافة في المجلس الشرقي من قصر الزهراء لاستقبال وفود ممالك أسبانيا التي قدمت على بابه، يحيط به الوزراء والحجاب كعادته، فاستقبل أولاً رسول شانجه بن غرسية أمير البشكنس، واستقبل بعده حبيب بن طويلة وسعادة، رسولا فرذلند ابن فلين قومس سلمنقة، ثم استقبل بعدهما غرسية بن عتون رسول صاحب قشتيلة وألبه، واستقبل أيضاً بعض الوفود النصرانية الأخرى التي جاءت جميعها لتؤكد رغبتها في السلام، وخاطبهم الخليفة وعادوا إلى بلادهم مزودين بالهدايا [74].

لقد كثرت الوفود النصرانية على بلاط الخليفة الحكم، ويبدو أن هذه الوفود قد أدركت تماماً قوة الخلافة وقوة شوكتها، فرأت أن تهادن دولة الخلافة وتطلب منها السلم حتى تطمئن إلى عدم مهاجمتها من قبل جندها، وقد أجاب الخليفة الحكم هذه الوفود جميعها إلى طلبها متيحاً لكل منهم الفرصة في التعبير عما يريده بعيداً عن الوفود الأخرى.

غير أن بعض هذه الوفود التي جاءت إلى بلاط الخليفة الحكم كانت تتظاهر فقط برغبتها في السلام في حين أنها كانت تضمر أمراً آخر. فقد كانت سياسة حاكم قشتالة غرسية بن فرذلند مع الأندلس ملتوية، فكان يتظاهر بالسلم والصداقة. وكان

يخطط في نفس الوقت لغزو الأراضي الأندلسية كلما سنحت له الفرصة. فقد أرسل غرسية سفارة إلى قرطبة لتأكيد علاقات الصداقة والرغبة في استمرار السلم واستقبلهم الحكم في حفل مهيب مرحباً بهم مستجيباً لرغبتهم، وهو لا يعلم أن هذه السفارة تغطية لاعتداء مدبرً إذ ما كان الرسل ينصرفون إلى بلادهم مزودين بالهدايا والحفاوة والرد الإيجابي على طلباتهم، حتى وصل الخبر إلى الخليفة باعتداء حاكم قشتالة المذكور

(72) ابن حيان: المقتبس، تحقيق د. الحجي، ص21-22.

(73) المصدر نفسه، ص182.

(74) ابن حيان: المقتبس، ص241-242 يلاحظ المؤثرات العربية في أسماء هؤلاء الرسل الذين لم أعثر لهم على ترجمة لهم حسب المصادر التي توفرت لدي. ولعل تأويل ذلك كما يرى الحجي أن بعض هؤلاء الحكام كانوا يفضلون اختيار سفرائهم من المسلمين الذين كانوا لا يزالون يسكنون مناطق تابعة لهم في الشمال، أو لعل هؤلاء السفراء كانوا يسكنون في مناطق أندلسية مجاورة لهم، ولعلهم كانوا يعرفون العربية، كما يحتمل أن يكون لكل منهم اسم عربي واسم أسباني والوارد هنا الاسم العربي. وفي إرسال مثل هؤلاء مجاملة وحسن اختيار لأداء المهمة على الوجه المطلوب .ويلاحظ كذلك غموض أسماء كثير من هؤلاء الرسل. ابن حيان (تعليقات المحقق). ص258.

EDITORIAL

على الأراضي الأندلسية، وقام جنده بإحراق المزارع واستاقوا الماشية وذلك قبل خروج الرسل من الأراضي الأندلسية، مما أدهش الخليفة الحكم الذي أرسل بعض الفرسان للحاق بالرسل قبل عبورهم إلى بلادهم، فلحق الفرسان بالرسل وتمت إعادتهم مرة أخرى إلى قرطبة وسجنوا فيها [75].

وقد أحس حكام الشمال الأسباني بشناعة هذا العمل. فأرسل حكام ليون[76] سفارة – وتلك بادرة توسط لطيفة – إلى قرطبة لتقديم الاعتذار عن الخطأ الذي ارتكبه غرسيه، فاستقبلهم الحكم. ولعل هذه السفارة خففت من وقع الاعتداء. غير أن الأحوال لم تهدأ طويلاً فقد نظم غرسيه تحالفاً مع حكام الشمال الأسباني وقاموا بالاعتداء على الأراضي الأندلسية ناكثين عهودهم، فتصدى لهم المسلمون وألحقوا بهم هزيمة شنيعة[77].

كذلك لم تنقطع السفارات المغربية الوافدة على بلاط قرطبة في عصر الخليفة الحكم المستنصر توطيداً للعلاقات التي بدأت منذ عصر والده عبد الرحمن الناصر. ففي 22 ذي الحجة 362هـ/973م عقد الخليفة الحكم المستنصر بالله مجلساً فخماً كالعادة لاستقبال زعماء الشمال الإفريقي(•). يقول ابن حيان في هذا اليوم: " قعد أمير المؤمنين على السرير بقصر الزهراء قعوداً فخماً حافلاً تام الترتيب حسن التهذيب لرسل وفود اكتملوا ببابه، شهده الوزراء وحجبه الحجاب ... وقدم المسلمون في الإذن على غيرهم من رسل النصارى،

---

(75) انظر ابن حيان: المقتبس، تحقيق د. الحجي، ص256-257.

(76) إقليم ومملكة سابقة شمال غرب أسبانيا، في هضبة يقطعها نهر دورو، اتحدت مرتين مع مملكة قشتالة المجاورة لها. الموسوعة العربية الميسرة، 1603/2.

(77) ابن حيان: المقتبس، تحقيق د. الحجي، ص257.

(•) كانت بلاد المغرب تشكل هاجساً كبيراً للدولة الأموية في الأندلس وخاصة بعد إعلان العبيديين الخلافة لأنفسهم فيها. كما أن هناك بعض الزعماء المغاربة يحملون أفكاراً تخالف العقيدة الإسلامية مثل الحسن بن قنون الذي وصفه ابن حيان بالخبيث وقد استمال ابن قنون كثيراً من الناس إلى جانبه من البربر وغيرهم.
وكانت الخلافة في قرطبة ترى ضرورة القضاء على هؤلاء المنحرفين عن الإسلام، ولذلك اجتازت جيوشهم مراراً إلى بلاد المغرب لمحاربة مثل هذه الزعامات. وقد تولى العمليات العسكرية في بلاد المغرب الوزير غالب بن محمد بن عبد الرحمن الذي تمكن من إعادة هؤلاء الخارجين عن الإسلام إلى طاعة الخلافة الأموية السنية في بلاد الأندلس، وبذل الأمويون كثيراً من الأموال والصلات والهدايا لكسب زعماء البربر وغيرهم في بلاد المغرب، حتى يضمنوا ولاءهم ولذلك كثرت وفود زعماء الشمال الأفريقي إلى بلاد الأندلس لإعلان طاعتهم وولائهم فكانوا يستقبلون أحسن استقبال ويعودون إلى بلادهم محملين بالأموال والخلع والهدايا. انظر ابن حيان، المقتبس، تحقيق الحجي، ص108، 128 وما بعدها 150.

EDITORIAL

فكان أول من توصل منهم رسل أبي العافية[78]، ثم رسل أحمد بن عيسى، ثم رسل ميمون بن القاسم ثم رسل علي بن حنون رئيس كتامة، ثم رسل جرثم، ثم توصل بعدهم محمد ويوسف أبناء أبي سفيان، ثم محمد بن منجفان الأصيل وغيرهم، أدوا رسائلهم وعرضوا مسائلهم، فأجيبوا بما وافقهم وأقنعهم"[79].

وفي هذه السنة أيضاً استقبل الحكم رؤساء البربر القادمين إليه من العدوة[80] بعد إجراء الترتيبات اللازمة لاستقبالهم، ثم توزيع الصلات والكسى عليهم، وكان في مقدمتهم إمامهم أبي العيش بن أيوب بن بلال رئيس كتامة[81]، فدفعت إليه خرائط[82] عدة من المال وأعداد من صندوق الخلع الرفيعة، وحمل على فرس رائع، وخلع على ابنه كذلك خلعة رائعة، ثم دعى بمن معه من الرؤساء فأسلمت إليهم صلاتهم حسب مقاماتهم[83].

لقد حققت الدبلوماسية الأندلسية نجاحاً كبيراً خلال هذه الفترة من عصر الخلافة كما رأينا ذلك في استعراض الوفود المختلفة التي قدمت على بلاط قرطبة.

نظم البروتوكولات الدبلوماسية الأندلسية مقارنة بالدولة العباسية

لقد عرفت الدبلوماسية الإسلامية بشكل عام مجموعة من القواعد والنظم التي تؤلف ما يسمى اليوم بالبروتوكول، أي الرسوم التي تتبع في التعامل مع الرسل والسفراء، وأساليب المكاتبات إلى الملوك

(78) المقصود هنا: محمد بن عبد الله بن إبراهيم، رابع الأمراء من آل أبي عافية بالمغرب وآخرهم، توفي سنة 363هـ /973م، الزركلي: الأعلام، 6/224-225.

(79) المقتبس، ص139. لم تتوفر لدي الترجمة لبعض هؤلاء الرسل ولكن يبدو أنهم كانوا من كبار الشخصيات من ذوي المكانة الرفيعة في بلاد المغرب أو من أبناء أمراء الدير ولذلك تم اختيارهم لأداء تلك المهمة التي تتطلب شخصية على درجة كبيرة من الفطنة والذكاء ليقوم بأداء المهمة خير قيام.

(80) العدوة: المكان المرتفع وشاطئ الوادي وجانبه، انظر الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص1689، ويطلق على بر العدوة من بلاد المغرب مقابل الأندلس التي يفصل بينهما مضيق جبل طارق.

(81) كتامه: قبيلة بربرية من أهم بطون البرانس من قبائل الأمازيغ أو البربر ويسكنون شمال إفريقية، وسمي الإقليم باسمها. انظر: المنجد في الأعلام، دار المشرق، بيروت – لبنان، الطبعة 15 عام 1987م، ص458.

(82) خرائط: جمع خريطة، وهي وعاء من أدم " جلد " أو غيره يشرج على ما فيه " أي يربط ". الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص858.

(83) ابن حيان: المقتبس، ص139.

والسلاطين. وقد كانت هذه القواعد مستمدة من التقاليد الموروثة، أو آداب اللباقة والمجاملة الموضوعة حسب الدول. وقد وجدت هذه القواعد منذ أن أسس معاوية بن أبي سفيان الدولة الأموية على أسلوب جديد، مراعياً أبهة الملك وضروراته، محتذياً أساليب بيزنطية في بعض الأمور(84)، وقد أخذ الأمويون في الأندلس بتلك الأساليب، وأضافوا إليها بعض الرسوم وطوروها كثيراً وفقاً لطبيعة بلادهم، وتكاد تكون هذه القواعد واحدة في أسسها لدى جميع الدول الإسلامية ،على أنها قد تختلف أحياناً حسب ظروف الدول في بعض الأمور الخاصة.

ومن خلال ما سبق رأينا القواعد المتعلقة برسوم استقبال الوفود والسفراء ومواكبهم، ومثول السفير أمام الخليفة لتقديم الرسالة، ونزل السفير وكل ما يتعلق بتسهيل أمره في المهمة التي قدم من أجلها.

لقد أمدنا الخطيب البغدادي بتفاصيل سفارة بيزنطية إلى بغداد في عصر الخليفة المقتدر بالله (295-320هـ /907-932م)، تكاد تتطابق تماماً مع ما كان يجري في الأندلس من حيث الرسوم والتشريعات والنظم. يقول: إن المقتدر أمر بحبس رسل ملك الروم في تكريت حتى فرغ من تزيين قصره، وترتيب آلته فيه. ثم صف العسكر من دار صاعد التي أنزلوا فيها إلى دار الخلافة. وكان عدد الجيش مائة وستين ألف فارس وراجل. فسار الرسل بينهم إلى أن بلغوا الدار. وكانوا يطأون على الفرش والبسط. وامتلأ نهر دجلة بعدد من القوارب والسفن، وبأفضل زينة، وكانت الدار قد امتلأت بالفرش الجميلة، وزينت بالآلات الجليلة، ثم أدخل الوفد في أزج(85) تحت الأرض، فساروا فيه حتى مثلوا بين يدي المقتدر بالله وأدوا الرسالة إليه(86).

ورسم بعد ذلك أن يطاف بهم في الدار وليس فيها من العسكر أحد البته، وإنما فيها الخدم والحجاب والغلمان السودان. وكان عدد الخدم إذ ذاك سبعة آلاف خادم، وكان عدد الحجاب سبعمائة حاجب، وعدد الغلمان السودان غير الخدم أربعة آلاف غلام، قد جعلوا على سطوح الدار والعلالي، وفتحت الخزائن، والآلات فيها مرتبة، وعلقت الستور، ونظم جوهر الخلافة في قلادات على درج غشيت بالديباج الأسود، ولما دخل الرسول إلى دار الشجرة ورآها كثر تعجبه منها، وكانت شجرة من الفضة وزنها خمسمائة ألف درهم

(84) صلاح الدين المنجد: الدبلوماسية في الإسلام، ص48.
(85) الأزج: ضرب من الأبنية. الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص/229.
(86) الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي (ت 463هـ /1070م)، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، دار الكتاب العربي – بيروت (د. ت)، 101/1.

EDITORIAL

عليها أطيار مصوغة من الفضة تصفر بحركات قد جعلت لها، فكان تعجب الرسول من ذلك أكثر من تعجبه من جميع ما شاهده[87].

ويمضي الخطيب في وصف تفاصيل هذا الاستقبال فيقول: إن عدد الستور التي علقت في القصر بلغت ثمانية وثلاثين ألف ستر، وأدخل رسل صاحب الروم من دهليز باب العامة الأعظم إلى الدار المعروفة بخان الخيل، وهي دار أكثرها أروقة بأساطين رخام، ثم أدخلوا إلى دار الوحش، وأدخلوا القصر المعروف بالفردوس، وكان فيه من الفرش والآلات ما لا يحصى، وفي دهاليز الفردوس عشرة آلاف جوشن مذهبة معلقة، ثم أخرجوا منه إلى ممر طوله ثلاثمائة ذراع، وقد علق من جانبيه نحو من عشرة آلاف درقة وخوذة وبيضة ودرع وزرد وجعبة محلاة وقسى. وكان الخدم يسقون الناس الماء المبرد بالثلج، ولطول المشي فقد استراح الرسل في سبعة مواضع، واستسقوا الماء فسقوا[88].

يلاحظ على رسوم استقبال هذه السفارة أنها متشابهة إلى حد كبير مع رسوم استقبال السفارة البيزنطية التي جاءت إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر في سنة 334هـ /945م ويلاحظ على مراسم الاستقبال العباسية أن الدولة عمدت إلى إظهار قوتها العسكرية وأسلحتها للوفد البيزنطي، نظراً لأن الدولتين كانتا في حالة احتكاك دائم، فأرادت الدولة أن تظهر للرسل مدى إمكاناتها وقدرتها العسكرية.

نخلص إلى أن الدولة الأموية في الأندلس خلال هذه الفترة من عصر الخلافة استطاعت أن تنهض بالدبلوماسية الإسلامية نهضة قوية متميزة، وأن تكون لها السيادة في أوربا في ذلك الوقت، كما استطاعت أن تجبر ملوك النصارى بالتدافع إلى بلاطها طلباً للمودة والمهادنة وحسن علاقة الجوار على الرغم من أن بعضهم كان يضمر سوءاً للدولة الأموية الأندلسية إلا أنه كان مرغماً ومضطراً لإقامة هذه العلاقات.

وقد أدت هذه العلاقات المتميزة إلى ازدهار الحركة التجارية بين الأندلس الإسلامية وأسبانيا النصرانية. فقد كان يصاحب السفارات أو البعثات الدبلوماسية نشاط تجاري واسع. فقد كانت العطايا والهدايا من الملابس الفاخرة والأدوات والحلي والتحف الفنية التي كان يقدمها الخليفة لأفراد تلك السفارات، تجذبهم إلى شراء ما يلزمهم قبل الرحيل إلى بلادهم، وكانت تجعل نساء القصور في ليون وقشتالة يحثون تجار اليهود على جلب المزيد منها من أسواق قرطبة وغيرها من المدن الأندلسية، وأتاحت الدبلوماسية الأندلسية كذلك فرصة للتجار والطلاب والأطباء وأصحاب المصالح على الانتقال بين طرفي شبه الجزيرة. وكان لهذا النشاط الدبلوماسي

(87) الخطيب البغدادي: 1/101-102.
(88) المصدر نفسه، 1/102-104.

EDITORIAL

أثر عظيم في دفع عملية المزج الحضاري والتقريب المادي والفكري بين الأندلس الإسلامية المتحضرة، وبين الشمال النصراني المتخلف [89].

أما العلاقات الأندلسية مع زعماء الشمال الإفريقي فقد كان هدفها الأساسي هو استمالة الزعامات البربرية إلى صف الدولة الأموية السنية في الأندلس، ومحاربة المذاهب العقدية المنحرفة عن الإسلام وقد نجح الأمويون في ذلك نجاحاً كبيراً.

(89) رجب محمد عبد الحليم: العلاقات بين الأندلس الإسلامية وأسبانيا النصرانية، ص428-473.

EDITORIAL

خاتمة:

ازدهرت الدبلوماسية الأندلسية في هذه الفترة من عصر الخلافة من 316 حتى 366هـ /928-976م، ونمت وتطورت بشكل كبير، وصارت قرطبة عاصمة الدولة الإسلامية قبلة الأنظار ومحط الوفود والسفراء، وصار عبد الرحمن الناصر سيد شبه الجزيرة الأندلسية كلها، وتوافد إليه السفراء من شمال أسبانيا، ودول أوربا ومن القسطنطينية، ومن أمراء البربر في بلاد المغرب، كما توافدوا أيضاً في عهد ابنه الحكم المستنصر، وكان يتم استقبالهم استقبالاً رائعاً وفخماً وفق نظم ورسوم أعدت بترتيب دقيق ومحكم.

وكانت التطورات الكبيرة التي شهدتها الدبلوماسية الأندلسية خلال هذه الفترة نتاجاً طبيعياً للجهود الكبيرة التي بذلها الخليفة عبد الرحمن الناصر في القضاء على كافة المخالفين والخارجين على سلطان الدولة في قرطبة، وكذلك تأديب نصارى الشمال الأسباني الذين كانوا يشكلون تهديداً مستمراً للدولة الأندلسية، محاولين استرداد بلاد الأندلس من أيدي المسلمين، فتمكن الناصر من إخضاعهم وتشتيت جهودهم، وإرغامهم على الإذعان للدولة الأموية، ومهادنتها، وطلب السلم وحسن الجوار معها. وجاءت وفودهم ورسلهم إلى قرطبة في عهده وعهد ابنه المستنصر تتودد إلى دولة الخلافة، وتطلب منها إقامة علاقات دبلوماسية متميزة. فانطلقت الدبلوماسية الأندلسية نحو آفاق رحبة ملتزمة بمبادئ الدبلوماسية الإسلامية التي أقرها الإسلام، من احترام وتقدير للوفود والرسل وتأمينهم ومنحهم الحصانة الكاملة حتى يؤدوا المهمة التي أتوا من أجلها، كما كانوا يتلقونهم أحسن تلق ويكرمونهم بالهدايا والصلات حتى يعودوا إلى ديارهم سالمين. وكانت عاصمة الخلافة تتزين لاستقبال الرسل، وتزين القصور بأجمل أنواع الزينة وأبهى أنواع الفرش والأثاث، وتجتهد الخلافة اجتهاداً كبيراً في إبداء كافة مظاهر الفخامة والبهاء، كما كان الخليفة يجلس في القاعات المعدة لاستقبال السفراء، يحيط به من ذات اليمين وذات الشمال أبناؤه ووزراؤه وقضاته وكافة رجالات الدولة، حسب مقامتهم ووفقاً (لبروتوكولات) أعدت على درجة عالية من الدقة والتنظيم، وقد أدت تلك الترتيبات إلى إنبهار واندهاش الوفود القادمة على قرطبة، وفي ذلك دلالة على مدى الرقي الحضاري الذي وصلت إليه دولة الإسلام في الأندلس.

وقد ساهمت هذه العلاقات الدبلوماسية المتميزة في تسهيل حركة التجارة والحركة العلمية والتنقل بين طرفي شبه الجزيرة الإيبيرية، وأدت إلى التمازج الحضاري بين الأندلس الإسلامية وأسبانيا والنصرانية. كما ساهمت في بلاد المغرب بالمحافظة على المذهب السني ومحاربة الأفكار المنحرفة عن الإسلام.

EDITORIAL

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً- المصادر:

1. ابن الأبار: أبو عبد الله محمد بن عبد الله أبي بكر القضاعي (ت685هـ/1259م) **الحُلة السيراء** (جزءان)، تحقيق: د. حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1963م.
2. ابن الأثير: عز الدين أبي الحسن علي بن محمد الجزري (ت630هـ /1233م)، **الكامل في التاريخ**، دار الكتاب العربي – بيروت، ط3، 1400هـ.
3. ابن حيان: أبو مروان حيان بن خلف بن حسين (469هـ /1076م)، **المقتبس من تاريخ رجال الأندلس** (القسم الثالث) خاص بعصر الأمير عبد الله، نشره ملشور م. أنطونية باريس 1937م.
   - جـ 5 خاص بعصر الخليفة عبد الرحمن الناصر، نشره ب شالميتا وآخرون.
   - قطعة خاصة بعصر الحكم المستنصر، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، دار الثقافة، بيروت – لبنان، 1983م.
4. ابن الخطيب: لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني (ت776هـ /1374م)، **إعلام الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**، تحقيق وتعليق أ. ليفي بروفينسال، دار المكشوف، بيروت، ط2، 1956م.
5. ابن الفرضي: أبو الوليد عبد الملك بن محمد بن يوسف الأزدي (ت 403هـ /1013م)، **تاريخ علماء الأندلس**، دار الكتب الإسلامية (القاهرة – بيروت) ط(1) 1403 هـ /1983م.
6. ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد المغربي (ت808هـ /1405م)، **العبر وديوان المبتدأ والخبر**، منشورات الكتاب اللبناني – بيروت 1985م.
7. ابن سعد: محمد بن سعد بن منيع الزهري البصري (ت 230هـ /844م)، **الطبقات الكبرى**، دار صادر بيروت، لبنان (1388هـ /1968م).
8. ابن سلام: أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي البغدادي (ت224هـ /838م)، **الأموال**، تحقيق محمد خليل هراس، دار الفكر للطباعة والنشر، القاهرة (1395هـ/ 1975م).
9. ابن عذاري: أبو العباس أحمد بن عذاري المراكشي (695هـ /1295م)، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق ج. س كولان وليفي بروفينسال، دار الثقافة – بيروت، لبنان (د.ت).
10. الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي (ت 463هـ / 1070م)، **تاريخ بغداد أو مدينة السلام**، دار الكتاب العربي – بيروت (د.ت).

EDITORIAL

11.الضبي: أحمد بن يحيى بن عميرة (ت 599 هـ / 1202م)، **بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس**، دار الكتاب العربي – القاهرة 1967م.

12.الفيروزآبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب (ت 817هـ /1414م)، **القاموس المحيط**، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية 1407هـ /1987م.

13.المقري: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني،(ت1041هـ /1632م)، **أزهار الرياض في أخبار عياض**، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، القاهرة 1359هـ / 1940م.

- **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت (1388هـ /1968م).

14.ياقوت: ياقوت بن عبد الله الحموي (ت 626هـ /1228م)، **معجم البلدان**، دار صادر ودار بيروت – لبنان، 1404هـ/1984م.

ثانياً- المراجع:

1. خير الدين الزركلي: **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، الطبعة السابعة، 1986م.
2. رجب محمد عبد الحليم: **العلاقات بين الأندلس الإسلامية وأسبانيا النصرانية في عصر بني أمية**، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، 1985م.
3. صبحي المحمصاني: **القانون والعلاقات الدولية في الإسلام**، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان 1392هـ /1972م.
4. صلاح الدين المنجد: **النظم الدبلوماسية في الإسلام**، دار الكتاب الجديد، بيروت – لبنان – الطبعة الأولى 1403هـ /1983م.
5. عبد الرحمن علي الحجي: **التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة**، دار القلم، دمشق، ط 3، 1407هـ /1978م.
6. علي أدهم: صقر قريش، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، د. ت.
7. ليفي بروفنسال: **الحضارة العربية في أسبانيا**، ترجمة د. الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية 1405هـ / 1985م.
8. محمد شفيق غربال وآخرون: **الموسوعة العربية الميسرة**، دار نهضة لبنان، بيروت – لبنان – 1407هـ /1987م.
9. محمد حميد الله: **مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراش**دة، بيروت، لبنان، ط3، 1969م.

EDITORIAL

10.محمد عبد الله عنان: **دولة الإسـلام في الأندلس** (الخلافة الأموية والدولة العامرية) العصـر الأول – القسم الثاني، مكتبة الخانجي – القاهرة، ط4، 1389هـ /1969م.
11.الندوة العالمية للشباب الإسلامي: **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة**، مطبعة سفير، الرياض، الطبعة الثانية 1409هـ / 1989م.
12.**المنجد في الأعلام**، دار المشرق، بيروت – لبنان، الطبعة 15 عام 1987م.
13.**المنجد في اللغة**، دار المشرق، بيروت – لبنان، الطبعة 28 عام 1986م.

الدوريات:

1-محمد عبد العزيز عثمان: **البحرية العربية في الأندلس**، مجلة المورد، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، المجلد الثاني عشر، العدد الرابع، ص69-70.

مواقع إلكترونية:

1. www.jeeran.com , www.isesco.org